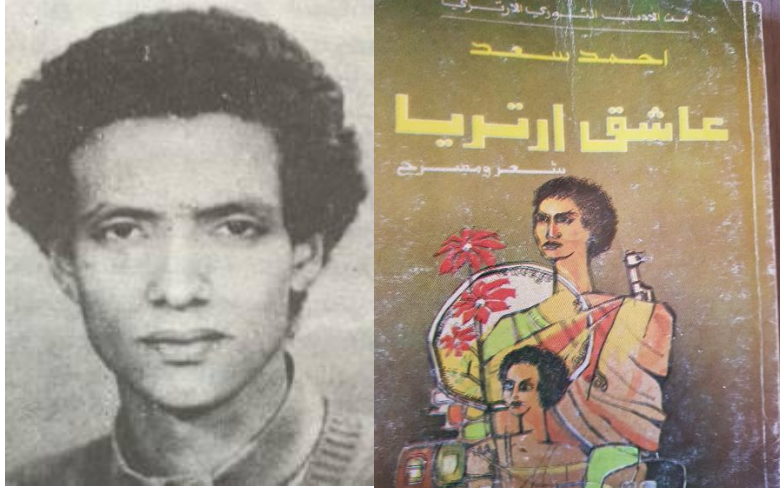


وقفة تأملية في مختارات شعرية من ديوان

" عاشق ارتريا "

للشاعر أحمد محمد سعد 1945 - 1978



اعداد: د. أحمد حسن دحلي

بمناسبة حلول العيد الخامس والثلاثين للتحريم من الاستعمار اثيوبي واعوانه، سنتوقف برهة على ست قصائد للشاعر احمد محمد سعد، تحمل عدة رسائل سياسية عميقة ومعبرة، وذلك بحكم ان احمد سعد يعتبر من أوائل الشعراء الارتبيين مع الشاعر عبد الرحمن سكاب وغيره الذين عبروا شعرا باللغة العربية في مطلع سبعينيات القرن المنصرم، عن الالام وآمال الشعب الارتري بعدما اندلعت شرارة الثورة الارترية المباركة من جبل ادال في الفاتح من سبتمبر عام 1961 وانتشرت في هشيم المجتمع الارتري، فتم احتضانها بحنان الام، وقوة الحق، وبسالة الثوار، وحكمة القيادة، وإرادة الشعب التي لا تلين، وعزيمته التي لا تنكسر، وقوته الفولاذية التي لا تهزم، بل تجبر حتى القدر على الاستجابة، وترغم كابوس الاحتلال على الانجلاء، كما عبر عن ذلك الشاعر التونسي أبو القاسم الشابي 1909 - 1934، في قصيدة " إرادة الحياة " التي كانت ولا زالت وستظل الى ابد الابد تبض بإرادة الحياة، فلا غرو ان خلدته، وخلدت ولا تظل تخلد نضال الشعوب من اجل كسر القيود، وتهشيم قضبان السجون، وتحريم الشعوب من جميع أنواع القهر والاستغلال والاستعمار القديم والجديد والمتجدد بشتى اشكاله والونه الحربائية. واحمد سعد وبحسه الشعري المرهف، لم يكن حبيس واقع الساحة الارترية النضالية، ولا سيما في متعطفاتها الحرجة والتي

تمثلت في الانقسامات والحروب الاهلية بين رفاق المسيرة والمصير، بل كان دائماً أبدا ما يستشرف آفاق المستقبل الواضح والمشرق في كبد الليالي الحالكة والمكفهرة بقصائد غنائية سهلة وسلسلة وبليغة، تسقط في بعض الأحيان في فخ التقريرية، عندما يعمد الشاعر على فرض القصيدة تحت وطأة ظروف القاهرة أملت عليه ان يعبر موقف ما، هذا مما لا يترك للقصيدة الحيز الزمني المطلوب لكي تختمر، وتولد ولادة طبيعية، تنبض ايحاء، وتترقرق سلاسة، وتتأنق بلاغة، وتفيض سحرا. وان تدفق شاعرية القصيدة لا ينبع من أهمية الموضوع وساميته، كما ان زخرفة الكلمات البلاغية بلا مضمون هي بمثابة جعجة بلا طحين. ويستخلص من ذلك ان العملية الإبداعية ليست الشعرية فقط بل الأدبية برمتها، تصهر بصورة خلاقة المضمون والشكل، بحيث يذوب المظهر في الجوهر، والجوهر في المظهر.

صدر ديوان " عاشق ارتريا " الوحيد للشاعر احمد سعد عام 1980 عن دار " الكنوز الأدبية " في بيروت، ويحمل العنوان الفرعي التالي " في الادب الثوري الارتري ". يحتوي الديوان على 31 قصيدة وثلاث مسرحيات، ويقع في 179 صفحة من الحجم المتوسط.

وبما ان الشعب الارتري في ربوع أرض الوطن وفي بلدان المهجر يحتفل بالعيد الخامس الثلاثين للتحرير، وبحكم ان ثمرة التحرير هي وليدة بذرة الكفاح المسلح، سنتوقف في مطلع هذه الاطلالة الشعرية على قصيدة اهداها الشاعر " الى روح الشهيد البطل حامد ادريس عواتي.

### القصيدة الأولى: حامد عواتي



يا رفاقي

اذكروا من قاد في الريف الرجال

عواتي كان ابيا وشجاعا

هز في الدرب الجبال

عاش فلاحا بسيطاً

ثم هب للقتال

مات مرفوع الجبين

صار رمزا للنضال

لقد أشعل القائد عواتي الشرارة الثورية في الفاتح من سبتمبر 1961 في قمة جبل ادال، معلنا بداية الكفاح المسلح ضد الاستعمار الاثيوبي من اجل تحرير ارتريا، وذلك بعدما فشلت كل مساعي وجهود الحلول السلمية. وسرعان ما تحولت تلك الشعلة التي بدأت بكوكبة من المناضلين مسلحين بما تيسر لهم من البنادق الإيطالية العتيقة والاسلحة البيضاء، الى قوة بركانية كاسحة مدججة بالدبابات والمدركات والبرمائيات والصواريخ والمدافع البعيدة المدى وبقوة بحرية، ووحدات عسكرية وفدائية تحمل خلف خطوط العدو وفي المدن. وقبل هذا وذاك فالثورة الارترية كانت مسلحة بإرادة الشعب الارتري، هذا المعين الذي لا ينضب، فخاضت في بداية المسيرة الثورية العظمية، حرب كر وفر، وهاجمت معسكرات العدو الاثيوبية المعزولة نسبيا هنا وهناك، ونفذت عمليات فدائية بطولية في المدن الكبرى، ثم انتقلت الى مرحلة الهجوم الكاسح والمواجهة المفتوحة. وهكذا استطاعت ان تقتلع في عام 1977 الوجود الاستعماري الاثيوبي مرة واحدة والى الابد من مدينة نفقه قلعة الثورة الارترية وقاعدتها الخلفية الصامدة، ودمرت في عام 1988 جبهة نادو - از محررة مدينة افعبت، ثم في عام 1990 شقت طريقها لكي تجتث جذور المستعمر الاثيوبي من لؤلؤة البحر الأحمر، أي مدينة مصوع، قبل أن تجبر دكتاتور اثيوبيا منجستو هيلي ماريام على الهروب الى زمبابوي، وفي خاتمة المطاف، توجت المسيرة النضالية في عام 1991 بسقوط اسمرا العاصمة كثمرة يانعة في يد الثوار. وهكذا أصبح عواتي رمزا تاريخيا للشعب الارتري، لأنه أطلق الرصاصة الأولى، وحمل بروحه قبل يده شعلة الثورة التي دكت حصون وجيش المستعمر الاثيوبي وحلفائه من المعسكرين الغربي والشرقي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي البائد، وحررت ارتريا من براثن المستعمر اثيوبي، ولعبت دورا حاسما

في استئصال النظام العسكري الديكتاتوري في اثيوبيا ذاتها. فيا لها من مفارقة حية في ذاكرة التاريخ، ولكن ما العمل إذا كان بعض الاثيوبيين لا يقرأون التاريخ، وان قرأوا فإنهم لا يستوعبون دروسه، وان استوعبوا فإنهم ينجر فون وراء أحلام يقظتهم في محاولة عبثية بائسة ويائسة لإعادة عقارب ساعة التاريخ الى الوراء، غير مدركين بأنهم يلهثون صوب حتفهم، مخلفين الدمار والمآسي. ولكن وأيا كان الامر، ففي خاتمة المطاف، لا بد وان تشرق الشمس وينجلي ليل القرن الافريقي الدامس.

### القصيدة الثانية: لو تقرأين مشاعري

عنوان الديوان " عاشق ارتزيا " هو اسم على مسمى، ويعكس بل يجسد صورة ومادة كل قصائد الديوان، هذا إذا ما استخدمنا لغة الفيلسوف الاغريقي ارسطو. فكل نبض في عروق الشاعر يصدح بالوطن وينضح بالوطنية. هذه عناوين قصائده التي تبوح بنفسها عن نفسها بجلاء ومن دون موارد أو تورية.

- فلسطين

- لحظة تواجد أو رؤيا شعرية

- اغنية الى الرفاق

- يا بلادي

- الى الذين يعيشون بلا وطن

- لست وحدي

- علموني

- قضيتي ليس اقاويل

- الليل والحنين

- حق شعبي لن يموت

- لا تسلني

- الزاحفون

- الى اخي المناضل في الميدان

- عندما يعلو صوت الوطن

- احفظوا قضيتي

- لقاءنا في اسمرنا

- اغنية الزميل الجريح

- رسالة من الوطن

- همس الغربية

- صرخة السجين

- نشيد شباب ارتريا

- لو تقرأين مشاعري

- صغارنا

- حامد عواتي

- نشيد الثائرين

- نشيد الأرض

- أنا باق

- هوى وطني

- العار

- اريد هويتي

- سلام المهاجر

ومن مفارقات الأمور، توجد قصيدتان في الديوان، في ظاهرهما بعيدتان عن الوطن والوطنية الارتزية، وفي جوهرهما تعبران عنهما بطريقة ضمنية عميقة. القصيدة الأولى هي عن الحب مهداة " الى كل من حمل البندقية وجعل النضال حبه الأكبر " يقول فيها:

ما عدت أعبث بالهوى

وكفى العباءة للمفاتن والعيون

فالتحرقى إن شئت كل رسائلى

ولتكسرى

صنم الصبابة والجنون

إنى هنا اروى الملاحم من دمي

والقصيدة الثانية التي تصدرت الديوان هي عن فلسطين وسنتوقف عندها برهة في خاتمة هذه الوقفة التأملية في قصائد الشاعر احمد سعد المختارة، لما تحمله من رسالة روح نضالية للشعوب التي تتجاوز الحدود الجغرافية، لكي تنطلق الى رحاب نضالات شعوب المعمورة قاطبة.

**القصيدة الثالثة: هوى وطنى**

كتب الشاعر هذه القصيدة وهو غارق في هيام حب الوطن، ولا غرابة في ذلك، فهو وبجدارة شاعر الوطن والوطنية الثورية. والعلاقة بين الشاعر ووطنه محكومة بمنطق جدلية تكاملية غير متناقضة ترسخ وتعزز خصائص الطرفين. فالشاعر يعانق الوطن، والوطن يحتضن الشاعر، وبينهما الثائر الذي يلهم الشاعر، ويشحذ همم المواطن في فضاء الوطن في سياق ديالكتيكية محكومة ليس بالموجب والسالب، وإنما بالموجب والموجب يتمتع كل واحد منهما بخصائص نوعية مميزة تشكل سويا سيمفونية رائعة وخلقة وجبارة في آن واحد، تفتح على مصرعيها أبواب تحقيق المعجزات في غير حقل وفي أكثر من ميدان.

**يعانقنى هوى وطنى**

**يسلمنى بطاقات تدس الوجد فى قلبى**

**تدغدغنى هنيهات من الذكرى**

**تصافحنى**

**وتحتضننى**

**بأشواق الحب يطير الليل من حولى**

**ويأتى الصبح نشوانا يصب النور فى دربى**

oooo

**متى القاك يا أملى**

تعيد النبض في قلبي

وفي أغوار اغواري

القصيدة الرابعة والخامسة: يا بلادي وأنا باق

في هاتين القصيدتين يعبر الشاعر عن قوة الإرادة الجبارة لدى الشعب الارترى التي تعتبر أمضى سلاح يصنع المعجزات، فلا تصمد فقط في وجه جحافل الأعداء، ولا تتحدى افتك الأسلحة وأكثرها تدميرا وحسب، بل تبدع في فنون التكتيكات والاستراتيجيات التي تقلب موازين القوى راسا على عقب، فتخلط الأوراق، وتبطل كل الحسابات الكلاسيكية، وتخلق واقعا غير متوقع، يفرض معادلات جديدة. واذكر في هذا الصدد ان أحد قادة الثورة الارترية قال لي ذات يوم في حديث خاص، بأن ابان دورته العسكرية مع رفاقه في الصين في عام 1967، وتحديدا أبان الثورة الثقافية الصينية في عهد الرئيس ماو تسي تونغ، قال لنا المدرب إذا كانت ستهاجم فلا بد ان تكون المعادلة ثلاثة مقابل واحد، بحكم ان القوات المهاجمة تخسر أكثر من القوات المدافعة في حصونها، ولكن نحن في الثورة الارترية قلبنا المعادلة الهجومية راسا على عقب، بحيث أصبحت شهيدا واحدا مقابل عشرة جنود اثيوبيين قتلى أو أكثر بكثير. وقوة الإرادة مادة ثرية، معقدة التركيبية، متعددة الابعاد، متشعبة الميادين، تم تناولها من قبل الفلاسفة والشعراء وعلماء النفس والاجتماع وسواهم، من ابعاد مختلفة، وزوايا متعددة، نذكر منهم الفيلسوف ارثور شوبنهاور 1788 - 1860، وفريدريك نيتشه 1844 - 1900، وأبو القاسم الشابي 1909 - 1934.

ففي قصيدة " يا بلادي " يقول الشاعر:

ربما دكوا الروابي

ربما صبوا لهيبا فوق زرع

وبيوت وحمام

بيد أنا لن نبالي بالمآسي

فقضايا الثائرين

صوت رشاش يغني للسلام

وفي قصيدة أخرى " أنا باق " سطر الشاعر:

أنا رفض لدينا الياس والحزن  
أنا نبض بجوف الأرض والجدران والنهر  
أنا لحن من الاشواق والحلم  
أنا طير حبيب الشمس والافاق والشجر

○○○○

أنا آت

من المأساة والجرح  
لأجل الدار والطفل والحقل  
أنا آت

مع الأمل

أنا ميلاد انسان  
عدو الكبت والاسوار والذل

○○○○

أنا آت فهل تصغى

عدو النور والسلم

يقول الشاعر في هاتين القصيدتين ان المناضل الارترى ولد من رحم المآسي التاريخية والجروح السياسية التي مرت بها ارتريا منذ بروز في الخريطة الجيو-سياسية في منطقة القرن الافريقي في نهاية القرن التاسع عشر، وان المسيرة النضالية الارترية تشق طريقا تاريخيا جديدا في تحد وجودي لسياسة الأرض المحروقة، بشموخ جبال، وعزيمة شعب، واردة ثورة، معلنة ميلاد انسان يحمل بعقله وقلبه ووجدانه بذور فجر جديد، عدو الدمار والخراب واليباب. ويستخلص من ذلك، ان الإرادة قادرة ليس على الصمود والتحدي فقط، بل على صنع المعجزات عندما تركز وتنطلق من أرضية شعبية، وتكون مسلحة ببوصلة واضحة لها ابعاد أيديولوجية وسياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية وسيكولوجية، تأخذ في الحسبان جميع الاعتبارات، تؤهلها على شق طرق تحقيق أهدافها. والثورة الارترية تعتبر بحق وحقيقة نموذجا في هذا الصدد، يستحق

الدراسة، لأن مسيرتها الطويلة والمريرة والعنيدة، حافلة بالدروس العسكرية،  
وزاخرة بالعبر السياسية.

### القصيدة السادسة والأخيرة: فلسطين

لا يمكن اطلاقاً فصل نضالات الشعوب عن بعضها بسبب مختلف الفواصل  
والحواجز والحدود والقيود، وان الثورة الارترية ومنذ ميلادها عبرت عن  
تضمانها المطلق مع القوى الثورية المناضلة من أجل حريتها واستقلالها وانعتاقها  
في كل ارجاء العالم، ضد الامبريالية والقوى الاستعمارية والصهيونية  
والعنصرية، وضد كل اشكال الاستعمار القديم والجديد. والشاعر الارتري احمد  
محمد سعد جسد ذلك الموقف الثوري الارتري في قصيدة " فلسطين " فكتب:

يا فلسطين الكفاح

أنت بعض جراحي

وشجوني

في الفيافي

في المنافي والسجون

oooo

كل جرح في بلادي

كل جرح في قلوب الثائرين

كل سجن يتحدى انطلاقي

هو عار لرفاقي.